الرواية وطرق التحمل وجذور تحقيق النصوص عند المسلمين

د. على بن البار – الإمارات العربية المتحدة

مقدمة:

إن ظهور تحقيق النصوص وإخراجها من المخطوط إلى المطبوع، والقواعد التي صاحبت ذلك ليست وليدة ظهور هذا العلم وانتشاره، وإنما لها جذور في تاريخ العرب والمسلمين، فقد كان العرب الأوائل رواة شعر ولغة وأنساب، ولنا في كتابة المصحف متعلق- مع شيء من الفرق لمراعاة جانب الوحي، والحفظ من الله- إلا أننا لا نعدم في كتابته في المرة الأولى والثانية الجانب البشري الذي مقتضاه التيقظ، وأخذ الحيطة في نقل النص كما ورد عن رسول الله، واستعمال جميع الطرق الممكنة في الحفاظ على النص كما هو، من اختيار العلماء الحاذقين المهرة في هذا الفن والبلغاء الفصحاء النبهاء، أو الذين لهم مزية علمية أو منقبة تُقدّمهم عن غيرهم، مثل ما اختير زيد بن ثابت؛ لأنه كتب للنبي صلى الله عليه وسلم، واختير سعيد بن العاص؛ لأنّه شبيه اللهجة برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا ما يماثل التلميذ الحافظ الملاصق المتأثر بأستاذه وشيخه، الشبيه به في العبارة الذي تمرّس على أسلوب الشيخ وعرفه حقّ المعرفة، فلا شك أن من حاز هذه الصفات يكون أضبط لأصل الشيخ من غيره، وهذا في غير القرآن.

فجذور علم تحقيق النصوص قديمة قدم الإسلام، بأصولها التي ترجع إليها.

وفي تعاليم الإسلام ما يؤيد هذا، من التوثيق، والأمر بالتثبت في الأمر، وما ابتكره رواة الشعر واللغة، والمحدثون من قواعد الضبط في الرواية، ونقل العلم، دليل على العناية الفائقة التي وصل إليها المسلمون في نقل علومهم من جيل إلى جيل.

هذه العناية التي تقاصرت عنها جهود علماء أوربا في نقل كتبهم، وآدابهم فقد كانوا في القرن الخامس عشر، لا يقابلون بين النسخ، ولا يثبتون الفروق بينها إلا بطريقة حدسية بعيدة عن الطرق العلمية، فلم يكن لهم منهج معلوم، ولا طريقة متبعة إلى منتصف القرن التاسع عشر حين وضعوا أصولا علمية لنقد النصوص...[1]

الرواية الأدبية مراحلها، وسبق العرب فيها

إن رواية الشّعر وحمله كانت معروفة عند العرب قبل مجيء الإسلام، فكانوا يروون لشعرائهم اعتمادا على الحفظ والرواية الشفوية؛ فمنهم من اختص برواية لشاعر معيّن، ومنهم من كان يروي لشعراء كُثُر، وكان هذا الأمر فاشيا عند العرب في أسواق الشِّعر وملتقياته.

واشتهر من قريش أربعة برواية الشعر، والعلم بالأنساب هم: مخرمة بن نوفل، وأبو الجهم بن حذيفة، وحويطب بن عبد العُزّى، وعقيل بن أبي طالب.

فرواية الشعر والعلم بالأنساب كانت من علوم أهل ذلك العصر قبل الإسلام، واستمرت بعده، وكانت ممّا تميز به العرب عن غيرهم؛ لما اختصوا به من قريض الشعر، وحفظ أنساب القبائل، فكان الشعر عندهم ميدانا للتفاخر والهجاء والرثاء وغيره من الأغراض المختلفة للشعر العربي، وكان حفظ أنساب القبائل المختلفة حاضرا عندهم، وبعد مجيء الإسلام حافظ على الجيّد من هذه الأغراض في الشعر، وحافظ على النسب، وزاده قوة بالتأكيد عليه أو الترغيب في تعلمه، والترهيب من الأغراض الجاهلية التي تخالف مبادئ الإسلام، وما جاء به من الأخلاق الفاضلة، من جمع الكلمة ووحدة الصفوف ورصها لمقابلة الأعداء والأرزاء، وبقيت أغراض الشعر الأخرى حاضرة، وسائرة، كأدب عند العرب.

واستمرت هذه المرحلة (مرحلة الرواية والحفظ والإنشاد) حتي نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني، فلما أصلت أصول علم الحديث وقعدت قواعده، وتصدر المحدثون للتحديث والرواية في مجالس الحديث صار يطلق عليهم أيضا "رواة"، ومن هنا دخلت الرواية الأدبية مرحلة أخرى هي مرحلة الرواية العلمية، أو التحقيق، فأصبحت رواية الشعر تعتمد على الحفظ والنقل، والإنشاد، كما في المرحلة الأولى، وأضيف إليها الضبط والتحقق، والتمحيص، والشرح والتفسير، وشيء من الإسناد [2].

فراوي الشِّعر بعد التّحمل يقابل ويصحح رواياته الأدبية؛ سواء المسموعة أو المحفوظة عنده، أو المدونة على أقرانه من رواة الشعر ممن أخذ معه على الشيخ أو على الشيخ نفسه أو على أصول الشيخ،

وهذا ما نستطيع أن نسميه بتصحيح النقل أو تصحيح السماع، أو المعارضة أو المقابلة كما نسميه اليوم[3].

ومن هنا تأثرت رواية الشعر برواية الحديث؛ لأنهم وجدوا أن الرواية عند المحدثين طريقة للحفاظ على كل نصوصهم الشعرية، والتأكد من أن قائل هذا النص هو الشاعر الفلاني.

ولما تناقص الحفظ وقلّ الاعتماد على الرّواية الشّفوية، كانت الحاجة ماسة إلى وجود علم كفيل بضبط النصوص وتقويمها ومحاولة الحفاظ على نقلها كما وردت عن قائلها، فحينئذ ظهر علم تحقيق النصوص ونشرها.

فقد كان الشكّ في الكلمة المدونة وعدم الثقة بما هو مكتوب، هو سبب عدم إجازتهم قراءة التلميذ شيئا من كتاب معين، أو أن يذكر من هذا الكتاب شيئا إلا إذا كان قد قرأ هذا الكتاب على مؤلفه، أو قرأه على من قرأه على مؤلفه، وحصل من شيخه على إجازة برواية هذا الكتاب عنه... وهكذا لتتسلسل رواية هذا الكتاب، ولم يكونوا يعملون بالوجادة [4] في الكتب، وهذا إمعانا منهم في الحفاظ على النص التراثي كما ورد عن أهله.

وقد بقيت طريقة السّماع والأخذ عن الشيخ معمولا بها في أعزّ كتاب عند المسلمين، وهو القرآن العظيم، فإن المتَّبَع حتىّ اليوم هو الأخذ عن الشيوخ وسماعه منهم، وهم قد حفظوه عن شيوخهم بالتلقّي الشفوي جيلا بعد جيل.

وقد ضبطت هذه الروايات الشفوية، ووضع العلماء قواعد لنقل العلم وتحمله وضبطه، وقد سادت هذه الطرق في القرون الأولى في الإسلام، حتى أنهم كانوا لا يأخذون العلم ممن وجده في الكتب وحدها إلا إذا تلقّاه عن طريق السماع من الشيوخ، وكانوا يسمّون من يأخذ علمه عن الكتب بلا سماع من أصحابها أو ممّن سمعها منهم من تلاميذهم أو من أخذوا عن التلاميذ (صحفيا)؛ ولذلك شاع عندهم عدم أخذ العلم عن الصّحفيّين. [5] وفيهم قالوا: "لَا تحملوا العلم عَن صَحَفي، وَلا القرآن عَن مُصْحَفي".[6]

طرق تحمل العلم

وهي ثمانية أضرب

1-السماع من لفظ الشيخ

وهو منقسم إلى إملاء أو تحديث، وسواء كان من حفظه أو القراءة من كتابه، وهو أرفع درجات أنواع الرواية عند الأكثرين، ولا خلاف أنه يجوز في هذا أن يقول السامع منه حدثنا، وأخبرنا، وأنبأنا، وسمعت فلانا يقول، وقال لنا فلان، وذكر لنا فلان.[7]

2-القراءة على الشيخ

وسواء كنت أنت القارئ، أو غيرك وأنت تسمع، أو قرأت في كتاب، أو من حفظ، أو كان الشيخ يحفظ ما يقرأ عليه، أو يمسك أصله، ولا خلاف أنها رواية صحيحة، وأكثر المحدثين يسمونه عرضا؛ لأنّ القارئ يعرض ما يقرؤه على الشيخ كما يعرض القرآن على إمامه.[8]

3- المناولة: وهي أنواع

أرفعها أن يدفع الشيخ كتابه الذي رواه أو نسخة منه وقد صححها، أو أحاديث من حديثه، وقد انتخبها وكتبها بخطه أو كتبت عنه فعرفها، فيقول للطالب: هذه روايتي فاروها عني ويدفعها إليه أو يقول له: خذها فانسخها، وقابل بها ثم اصرفها إليّ، وقد أجزت لك أن تحدث بها عني، أو اروها عني، أو يأتيه الطالب بنسخة صحيحة من رواية الشيخ أو بجزء من حديثه فيقف عليه الشيخ ويعرفه ويحقق جميعه وصحته ويجيزه له، فهذا كله عند مالك وجماعة من العلماء بمنزلة السماع.[9]

4-الكتابة:

وهو أن يسأل الطالب الشيخ أن يكتب له شيئا من حديثه، أو يبدأ الشيخ بكتاب ذلك مفيدا للطالب بحضرته أو من بلد آخر، وليس في الكتاب ولا في المشافهة والسؤال إذن، ولا طلب للحديث بها عنه.

فهذا قد أجاز المشايخ الحديث بذلك عنه متى صح عنده أنه خطه وكتابه؛ لأنّ في نفس كتابه إليه به بخط يده أو إجابته إلى ما طلبه عنده من ذلك أقوى إذن، وبهذا قال حذّاق الأصوليين، واختاره المحاملي من أصحاب الشافعي، قال وذهب ناس إلى أنه لا تجوز الرواية عنه وهذا غلط.[10]

5 الإجازة

وهي إما مشافهة أو إذنا باللفظ مع المغيب، أو يكتب له ذلك بخطّه بحضرته أو مغيبه، والحكم في جميعها واحد إلا أنه يحتاج مع المغيب لإثبات النقل أو الخط، ثمّ هي مع ذلك على وجوه ستة، أعلاها الإجازة لكتب معينة وأحاديث مخصصة مفسرة إما في اللفظ والكتب، أو محال على فهرسة حاضرة أو مشهورة.

فهذه عند بعضهم التي لم يختلف في جوازها ولا خالف فيه أهل الظاهر، وإنما الخلاف منهم في غير هذا الوجه، وقد سوّى بعضهم بين هذه وبين ضرب المناولة، وسماه أبو العباس ابن بكر المالكي في كتابه "الوجازة" مناولة، وقال إنّه يحل محل السماع والقراءة عند جماعة من أصحاب الحديث، قال وهو مذهب مالك.[11]

والرواية بها جائزة عند الجمهور، وادعى القاضي أبو الوليد الباجي الإجماع على ذلك. ونقضه ابن الصلاح.[12]

6- الإعلام:

وهو إعلام الشيخ الطالب أن هذا الحديث من روايته، وأن هذا الكتاب سماعه فقط دون أن يأذن له في الرواية عنه أو يأمره بذلك، أو يقول له الطالب هو روايتك أحمله عنك فيقول له نعم، أو يقره على ذلك ولا يمنعه، فهذا أيضا وجه وطريق صحيح للنقل والعمل عند الكثير؛ لأن اعترافه به وتصحيحه له أنه سماعه كتحديثه له بلفظه وقراءته عليه إياه وإن لم يجزه له، وبه قال طائفة من أئمة المحدثين ونُظّار الفقهاء المحققين.[13]

7-الوصية بالكتب

وهو أن يوصي الشيخ بدفعه كتبه عند موته أو سفره لرجل، وهذا باب أيضا قد روي فيه عن السلف المتقدم إجازة الرواية بذلك؛ لأنّ في دفعها له نوعا من الإذن وشبَهًا من العرض والمناولة، وهو قريب من الضرب الذي قبله أي (الإعلام)[14]

8-الوِجادة:

وهي مصدر (وجد يجد) مُولّد غير مسموع من العرب، وهو أن يقف على كتاب بخط شيخ فيه أحاديث ليس له رواية ما فيها، فله أن يقول: وجدت أو قرأت بخط فلان أو في كتاب فلان بخطه، حدثنا فلان، ويسوق باقي الإسناد والمتن، وقد استمر عليه العمل قديماً وحديثاً، وهو من باب المرسل، وفيه شوب من الاتصال بقوله (وجدت بخط فلان)[15].

أو هي: أخذ من العلم من صحيفة من غير سماع، ولا إجازة، ولا مناولة من تفريق العرب بين مصادر (وجد) للتمييز بين المعاني المختلفة، يعني قولهم " وجد ضالته وجدانا، ومطلوبه وجودا"، وفي الغضب " موجدة "، وفي الغنى " وجدا "، وفي الحب " وَجْدا "[16].

ولعلّ هذا الضرب(الوجادة)هو ما أطلق عليه القاضي عياض (الخط)؛ لأنّه عده الضّرب الثامن من أضرب تحمل العلم، ورواية الكتب والأحاديث.

وإذا كان المحدثون قد ابتكروا هذه القواعد والشروط والضوابط، فالمقصود من كلّ هذا هو المحافظة على النصوص كما أثرت عن أصحابها دون زيادة أو نقصان، وقد بلغت هذه الضوابط الغاية الأسمى في الضبط والتّمحيص والاحتياط في تحقيق الوصول إلى ما تركه السلف للخلف، ونقله بأمانة تامّة لمريديه، ومن هم في حاجة إليه.

وبهذا تعتبر خدمة التراث وتقديمه للأمة من أجلّ الخدمات وأعظمها على الإطلاق وأصعبها وأشدها كلفة وشروطا؛ وبها تبنى الأمم والحضارات، ويتصل آخر الأمة بأولها؛ ليسير الآخر على هدي الأول، ويتنوّر بالاطلاع على علوم الكنوز الدفينة التي تركتها الأجيال المتعاقبة.

وهذه العلوم والطرق في تحمل العلم، وأدائه لم تكن منفصلة عن أوّل هذه الأمة وعمل المسلمين الأوائل منذ نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بتنزل كتاب الهداية، مضافا إلى الوحي بالسنّة، فقد جاء الأمر بالتثبت من الأخبار في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ [الحجرات:6]،

وجاء في السنة التثبت من الأخبار والتحذير من إلقاء الكلمات دون مرجع وتحقيق أو تحقّق من مصدرها، فالكلمة في الإسلام لها حظّها من الاهتمام، وينبغي للمسلم قبل أن يروي وينقل أن يتثبت فيما ينقله عن الناس، وبخاصّة فيما ينقله عن الله ورسوله؛ ولذلك جاء، في حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن كذبا علي ليس ككذب على أحد، من كذب علي متعمدا، فليتبوأ مقعده من النار».[17]

وأولى الناس بهذا التثبّت هم العلماء ورواة العلم والكتب والأقوال عن أهلها؛ وليكون الأمر مضبوطا دقيقا يلزم طريقه الجميع جاءت هذه القواعد في نقل ورواية الأخبار، وتحمل العلم، وأدائه، وحاكى هذه القواعد، وسار على خطاها وهديها بعدئذ من ينقل التراث ويعمل على تحقيقه، وإخراجه للناس في ثوب المطبوع بعد المخطوط.

الجذور الأولى لتحقق النصوص عند المسلمين

وإن أوّل ما ينبهنا في أعمال المسلمين الأولى إلى مبدأ التحقيق متمثلا في معارضة النصوص لتحقيقها وتصحيحها أمور:

الأول:

معارضة النّبي صلى الله عليه وسلم القرآن مع جبريل في رمضان من كلّ سنة، منذ بدء نزول القرآن الكريم إلى أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كلّ ليلة في رمضان، حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام، كان أجود بالخير من الريح المرسلة»[18].

ومعارضة النبي صلى الله عليه وسلم وإن لم يتمحّض فيها معنى التّحقيق بمفهومه كلّه لأن الله خاطب نبيه بعصمته من النسيان، قال تعالى: ﴿ سنقرئك فلا تنسى﴾[الأعلى: 6] فإنها تركت منهجا ومثالا يحتذى في منهج التحقق، بالإضافة إلى أن العرضة الأخيرة كان عليها الاعتماد، في بيان ما استقر عليه الوحي بعد نسخ المنسوخ من القرآن.[19]

الثاني:

عرض زيد بن ثابت ما كان يكتبه من القرآن على رسول الهإ صلى الله عليه وسلم

فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنت أكتب الوحي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكتب وهو يملي علي فإذا فرغت قال اقرأه فأقرؤه، فإن كان فيه سقط أقامه، ثم أخرج به إلى الناس[20].

الثالث : جمع المصحف

لم يجمع القرآن الكريم في مصحف واحد على عهد النبي صلى اله عليه وسلم، وإنما كان مكتوبا في الرقاع والأكتاف والحجارة وغيرها من وسائل الكتابة في ذلك العصر، ولما استحرّ القتل بالقرّاء في موقعة اليمامة، واستشهد كثير منهم رأى عمر لنفاذ بصيرته الإشارة على أبي بكر بجمع القرآن.

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده. قال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحرّ أي: اشتد" يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإني أخشى أن يستحرّ القتل بالقرّاء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإنّي أرى أن تأمر يجمع القرآن. قلت لعمر: كيف نفعل ما لم يفعله رسول الله –صلى الله عليه وسلم؟ قال عمر: هو والله خير. فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلّفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن! قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر. فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ [التوبة:128-129] حتى خاتمة براءة. فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر[21].

فالقرآن كان مفرّقا في الرقاع والأكتاف والعسب، وأمر الصديق رضي الله عنه بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعا، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيها القرآن منتشرًا، فجمعها جامع وربطها بخيط، حتى لا يضيع منها شيء[22].

فهذا العمل يقارب – مع الخصوصية لكلام الله المحفوظ– ما نراه اليوم في تحقيقات النصوص، وإخراجها من المخطوط إلى المطبوع.

وفي اختيار زيد بن ثابت رضي الله عنه–وهو من اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لكتابة الوحي في عهده– فاختياره لهذه المهمة مع الصفات الجليلة التي كان عليها رضي الله عنه من الأمانة والدّربة والصّبر، والضّمير المتحرّج من تحمّل المسؤولية الثقيلة، كلّ هذه الصفات التي تضمن الحفاظ على النّص وتوثيقه والحيطة والحذر في نقله. [23]

وهذه الصفات هي التي ينبغي أن يكون على قدر كبير منها من يحقق النصوص، وينقل التراث للأجيال.

وهذا ما نلمسه في حوار أبي بكر الصديق مع أبيّ رضي الله عنه في قوله:" إنك رجل شاب عاقل لا نتّهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلّفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن".

فكان زيد رضي الله عنه من أدرى الناس بترتيب القرآن، وبالمنسوخ منه، ولا بدّ أنه قد استعان بآخرين ممن تحققت فيهم الأهلية لهذا الشأن من الشهرة بالعلم والفصاحة، ويشهد لهذا قول عمر رضي الله عنه " لا يملينّ في مصاحفنا إلا فتيان قريش أو ثقيف"[24].

وقد أخرج الحاكم في "المستدرك" بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت أنه قال: "كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرِّقاع.[25]

وكلمة "الرقاع" في الحديث "وهي جمع رقعة، وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد" تشعرنا بنوع أدوات الكتابة المتيسرة لكتاب الوحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانوا يكتبون الآيات في اللخاف "جمع لخفة وهي الحجارة الدِّقاق أو صفائح الحجارة" والعسب "جمع عسيب وهو جريد النخل، كانوا يكشفون الخوص ويكتبون في الطرف العريض" والأكتاف "جمع كتف وهو عظم البعير أو

الشاة يكتبون عليه بعد أن يجف" والأقتاب "جمع قتب وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه.

ومعنى تأليف القرآن من الرقاع "الوارد في حديث زيد" ترتيب السور والآيات وفق إشارة النبي صلى الله عليه وسلم وتوقيفه. "فأما الآيات في كل سورة ووضع البسملة أوائلها فترتيبها توقيفي بلا شك.[26]

الرابع: نشر المصحف وتوزيعه في الأمصار

لما كثرت الفتوح، واتسعت البلدان، وازداد دخول العجم في الإسلام، واختلف الناس في قراءة القرآن، وصل الأمر إلى الخليفة عثمان رضي الله عنه، فرأى توحيد الناس على مصحف واحد، فبعث لحفصة ليأتي بأصول المصحف(النسخة الأم) من عندها، واختار لذلك زيد بن ثابت كاتب الوحي على عهد رسول الله صلى اله عليه سلم، وآزره في هذه المهمة عدد غير قليل من العلماء بالقرآن والعربية، وأهل الفطنة والفصاحة من بينهم سعيد بن العاص؛ لأنه كان أفصح الناس لما سأل عثمان "من أكتب الناس؟ قالوا كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت، قال فأي الناس أعرب وفي رواية أفصح، قالوا سعيد بن العاص قال عثمان:" فليمل سعيد وليكتب زيد"[27]

وكان سعيد بن العاص أشبههم لهجة برسول الله صلى الله عليه وسلم[28].

والرواية التالية تبين الحامل على كتابة المصحف الإمام، وكيف سار العمل في الكتابة، ومن اختير لذلك من العلماء.

عن أنس بن مالك، أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فرْج أرمينية [قال أبو بكر: يعني الفرْج: الثغر]، وأذربيجان مع أهل العراق، فرأى حذيفة اختلافهم في القرآن، فقال لعثمان بن عفان: " يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب كما اختلف اليهود والنصارى، فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلي بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت حفصة إلى عثمان بالصحف، فأرسل عثمان إلى زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وعبد الله بن الزبير أن انسخوا الصحف في المصاحف، وقال للرهط القرشيين الثلاثة:

ما اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، بعث عثمان إلى كل أفق بمصحف من تلك المصاحف التي نسخوا، وأمر بسوى ذلك في صحيفة أو مصحف أن يحرق [وقال غيره: يُحَرَق][29]

وهناك من أوصل اللجنة المختارة لكتابة المصحف الأم إلى اثني عشر رجلا، من بينهم من ذكر في الرواية السابقة، وأنهم يكتبوه بلغة قريش لكونها أفصح اللّغات، وأن يكتب على العرضة الأخيرة، وهذا يضاهي ما يعرف اليوم باختيار النسخة الأخيرة من المخطوط؛ لكونها أصح النسخ وللتصحيحات والمقابلات التي تجرى عليها، إذا كان للكتاب أكثر من نسخة.[30]

وفي توزيع عثمان رضي الله عنه هذا المصحف على الأمصار، وإلزام الناس به؛ لكونه صار حجة؛ بزيادة توثيقه، وإجماع أفضل أهل العصر على المشاركة في كتابته[31].

والحمد لله على الدوام والابتداء، وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

هوامش البحث

1 ينظر مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين ص:15 للدكتور رمضان عبد التواب الطبعة الأولى:1406-1986م مطبعة المدني (المؤسسة السعودية بمصر) -مصر.

2 تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره ص:20 وما بعدها للدكتور عبد المجيد دياب ط2، نشر دار المعارف القاهرة - مصر 1993.

3 تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره ص:21

4 سيأتي تعريفها

5 تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره ص:16

6 شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر ص:789 لعلي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ)، قدم له: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وحققه وعلق عليه: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، نشر دار الأرقم – لبنان- بيروت.

7 الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ص:69 لعياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، الطبعة الأولى، نشر : دار التراث -المكتبة العتيقة - القاهرة –تونس 1379هـ - 1970م؛ الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح:278/1 لإبراهيم بن موسى بن أيوب، برهان الدين أبو إسحاق الأبناسي، ثم القاهري، الشافعي (المتوفى: 802هـ) تحقيق: صلاح فتحي هلل، الطبعة الأولى، نشر: مكتبة الرشد 1418هـ 1998م.

8 الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ص:70-71؛ المحدث الفاصل بين الراوي والواعي ص:427 لأبي محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي الفارسي (المتوفى: 360هـ)، تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب، الطبعة: الثالثة، نشر: دار الفكر – بيروت 1404.

9 الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ص:79؛ معرفة أنواع علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح) ص:165 لعثمان بن عبد الرحمن، أبوعمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: 643هـ)، تحقيق: نور الدين عتر، نشر: دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر - بيروت 1406هـ - 1986م.

10 الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ص:79.

11 الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ص: 88 وما بعدها.

12 معرفة أنواع علوم الحديث ص:151؛ اختصار علوم الحديث ص119 لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان؛

13 الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ص:107 وما بعدها؛ اختصار علوم الحديث ص:126 الديباج المذهب في مصطلح الحديث ص:158.

14 الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ص:115؛ اختصار علوم الحديث ص:126.

15 الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ص: مقدمة ابن الصلاح ص:178؛ الديباج المذَهَّب في مصطلح الحديث ص:58 (مطبوع مع شرح منلا حنفي عليه) يُنسب لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني =(المتوفى: 816هـ)، مصحح بمعرفة لجنة: برئاسة الشيخ حسن الإنبابي، نشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – بمصر 1350 هـ - 1931م.

16 مقدمة ابن الصلاح ص:178.

17 رواه البخاري كتاب الوحي، باب باب ما يكره من النياحة على الميت. (1291)

18 رواه البخاري كتاب الصوم، باب أجود ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكون في رمضان (1902)

19 تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث ص: 15 للدكتور: الصادق عبد الرحمن الغرياني، نشر مجمع الفاتح للجامعات، ليبيا 1989.

20 الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع:161/1 ؛ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع:133/1 لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: د. محمود الطحان، نشر مكتبة المعارف – الرياض؛ النكت على مقدمة ابن الصلاح:581/3 لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (المتوفى: 794هـ)، تحقيق: د. زين العابدين بن محمد بلا فريج، الطبعة: الأولى، نشر: أضواء السلف – الرياض ، 1419هـ - 1998م. والحديث في المعجم الكبير للطبراني برقم (4889).

21 رواه البخاري ، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن(4986)

22 البرهان في علوم القرآن:238/1 لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط1، نشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه 1376 هـ - 1957 م.

23 تحقق نصوص التراث في القديم والحديث ص:16

24 تاريخ المدينة:1014/3 لعمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: 262هـ)، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، جدة –السعودية، 1399 هـ؛ مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم:562/2 لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، الطبعة: الأولى، نشر: دار الوفاء - المنصورة 1411هـ - 1991م.

25 رواه أحمد (21647) والترمذي كتاب المناقب، باب فضل الشام واليمن (3954) وحسنه شعيب الأرنؤوط في التعليق على المسند عند الحديث المذكور، وصححه الألباني في التعليق على الترمذي عند الحديث المذكور .

26 مباحث في علوم القرآن ص:69 للدكتور صبحي الصالح، الطبعة 24، نشر: دار العلم للملايين 2000.

27 كتاب المصاحف ص:100 لأبي بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (المتوفى: 316هـ)، تحقيق: محمد بن عبده، الطبعة: الأولى،نشر الفاروق الحديثة – مصر- القاهرة 1423 هـ- 2002م. فضائل القرآن:ص184 لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، الطبعة الأولى نشر: مكتبة ابن تيمية 1416 هـ.

28 المصاحف لابن أبي داود ص:102؛ فضائل القرآن لابن كثير ص:71

29 كتاب المصاحف لابن أبي داود ص:88. والفرق بين جمع أبي بكر وبين جمع عثمان أن جمع أبي بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته؛ لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد، فجمعه في صحائف مرتبا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القرآن، حين قرءوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدّى ذلك ببعضهم إلى تخطئة بعض، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتبا لسوره، واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش، محتجا بأنه نزل بلغتهم وإن كان قد وسّع في قراءته بلغة غيرهم رفعا للحرج والمشقة في ابتداء الأمر، فرأى أن الحاجة إلى ذلك انتهت، فاقتصر على لغة واحدة وكانت لغة قريش أرجح اللغات فاقتصر عليها.فتح الباري:9/9 طبعة دار المعرفة - بيروت، 1379 هجري.

30 فتح الباري شرح صحيح البخاري:19/9 لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني(852)، نشر: دار المعرفة - بيروت، 1379 رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، وعليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

31 ينظر تحقيق نصوص التراث بين القديم والحديث ص:18.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- كتب السنة النبوية

-اختصار علوم الحديث لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

-الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع لعياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، الطبعة الأولى، نشر : دار التراث -المكتبة العتيقة - القاهرة –تونس 1379هـ - 1970م.

- البرهان في علوم القرآن:238/1 لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ط1، نشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه 1376 هـ - 1957 م.

-تاريخ المدينة لعمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: 262هـ)، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، جدة –السعودية، 1399 هـ؛

-تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره للدكتور عبد المجيد دياب ط2، نشر دار المعارف القاهرة –مصر 1993.

-تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث للدكتور: الصادق عبد الرحمن الغرياني، نشر مجمع الفاتح للجامعات، ليبيا 1989.

-الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: د. محمود الطحان، نشر مكتبة المعارف – الرياض.

- الديباج المذَهَّب في مصطلح الحديث (مطبوع مع شرح منلا حنفي عليه) يُنسب لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني =(المتوفى: 816هـ)، مصحح بمعرفة لجنة: برئاسة الشيخ حسن الإنبابي، نشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – بمصر 1350 هـ - 1931م.

- الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح لإبراهيم بن موسى بن أيوب، برهان الدين أبو إسحاق الأبناسي، ثم القاهري، الشافعي (المتوفى: 802هـ) تحقيق: صلاح فتحي هلل، الطبعة الأولى، نشر: مكتبة الرشد 1418هـ 1998م.

-شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر لعلي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ)، قدم له: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وحققه وعلق عليه: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، نشر دار الأرقم – لبنان- بيروت.

-كتاب المصاحف لأبي بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (المتوفى: 316هـ)، تحقيق: محمد بن عبده، الطبعة: الأولى،نشر الفاروق الحديثة – مصر- القاهرة 1423 هـ- 2002م.
-مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح، الطبعة 24، نشر: دار العلم للملايين 2000.

- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي لأبي محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي الفارسي (المتوفى: 360هـ)، تحقيق: د. محمد عجاج الخطيب، الطبعة: الثالثة، نشر: دار الفكر – بيروت 1404.

-مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين للدكتور. رمضان عبد التواب الطبعة الأولى: 1406-1986م مطبعة المدني (المؤسسة السعودية بمصر) –مصر

-معرفة أنواع علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح) لعثمان بن عبد الرحمن، أبوعمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: 643هـ)، تحقيق: نور الدين عتر، نشر: دار الفكر- سوريا، دار الفكر المعاصر - بيروت 1406هـ - 1986م

- النكت على مقدمة ابن الصلاح لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (المتوفى: 794هـ)، تحقيق: د. زين العابدين بن محمد بلا فريج، الطبعة: الأولى، نشر: أضواء السلف – الرياض ، 1419هـ - 1998م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني(852)، نشر: دار المعرفة - بيروت، 1379 رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، وعليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

-فضائل القرآن لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، الطبعة الأولى نشر: مكتبة ابن تيمية 1416 هـ.